تَدَبُّرُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

إِعْدادُ:

د. حسين بن علي الحربي

أستاذ القرآن وعلومه المساعد بكلية التربية في جامعة جازان

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسولنا ونبينا وقدوتنا محمد بن عبد الله ﷺ تسليماً كثيراً ، وبعد:

فإن حاجة الأمة ماسة إلى فهم كتاب الله تعالى وتدبره فهو حبل الله المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم، أنزله الله تعالى هدى وبشرى للمؤمنين، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[الإسراء:٩] ، وقال تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[المائدة:١٥-١٦]، فمن ابتغى الهدى في غير كتاب الله أضله اللَّه، كما قال تعالى:﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [طه:١٢٣-١٢٤]، وقد حض الله تعالى على تدبر القرآن وتعقله فقال تعالى:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد:٢٤]، وقال تعالى:﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف:١ -٢]، بل جعل الله تعالى التدبر والتذكر علة لإنزال القرآن فقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[ص:٢٩]؛ لذا كان الواجب على الناس جميعاً تدبر كتاب الله تعالى، والاهتداء بهداه، وفهم معانيه، والعمل بها، فإنه من المعلوم "أن كل من لم يشتغل بتدبر آيات هذا القرآن العظيم أي: تصفحها وتفهمها، وإدراك معانيها والعمل بها، فإنه معرض عنها، غير متدبر لها، فيستحق الإنكار والتوبيخ المذكور في مثل قول الله تعالى:﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾[الكهف:٥٧]، وقوله تعالى:﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ

رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾[السجدة:٢٢]، إن كان الله أعطاه فهماً يقدر به على التدبر".[١]

قال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): ليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته: من تدبر القرآن، وإطالة التأمل، وجمع فيه الفكر على معاني آياته؛ فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرها.اهـ[٢]

وقد أمر الله تعالى عباده بتدبر القرآن في مواضع من كتابه، حاولت في هذه الدراسة تحديد مفهوم مصطلح التدبر ،والأركان التي يقوم عليها، وثمراته، ووسائله، والصوارف التي تصرف عن تدبر القرآن. وتكونت هذه الدراسة من مقدمة وثمانية مباحث وخاتمة، على النحو التالي :

المبحث الأول: تعريف التدبر.

المبحث الثاني: الدراسات السابقة .

المبحث الثالث: موارد مادة (دبر) في القرآن .

المبحث الرابع: وجوه مادة (دبر) في القرآن.

المبحث الخامس: أركان تدبر القرآن.

المبحث السادس: الوسائل المعينة على تدبر القرآن.

المبحث السابع: ثمرات تدبر القرآن وآثاره .

المبحث الثامن : الصوارف والحجب عن تدبر القرآن .

الخاتمة : وفيها أهم النتائج والتوصيات .

ولقد كان منهجي في البحث على النحو التالي:

(١) أضواء البيان (٣٥٨/٧) .

(٢) مدارج السالكين (٤٥١/١) .

- الاعتماد على دراسة موارد مادة «دبر» في القرآن الكريم ودلالاتها، مسترشداً بكلام المفسرين في إيضاح المعاني من خلال أهم كتب التفسير والوجوه والنظائر والمعاجم وكتب الغريب.
- صنفت مواضع ورود مادة «دَبَرَ» حسب موضوعاتها ودلالتها.
- ركزت على دراسة وجه تدبر القرآن الكريم من وجوه معاني مادة «دبر» في القرآن الكريم.
- استنبطت وسائل التدبر وثمراته والصوارف عنه من نصوص القرآن.
- اعتنيت بحشد شواهد المسائل من نصوص القرآن الدالة على المسألة تأكيداً لاهتمام القرآن بالموضوع .
- عزوت الآيات القرآنية إلى سورها .
- خرجت جميع الأحاديث الواردة في البحث، والتزمت طريقة أشهر كتب فهارس الحديث .كالمعجم المفهرس لألفاظ الحديث ومفتاح كنوز السنة . في عزو الأحاديث إلى مصادرها.
- وثقت النصوص المنقولة من مصادرها الأصلية .

وفي الختام هذا مبلغ ما توصلت إليه حول دراسة هذا الموضوع المهم، فما كان فيه من صواب فمن الله، وما كان فيه من خطأ وزلل فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله تعالى منه، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

المبحث الأول: تعريف التدبر.

(التدبر) مصدر الفعل (تدبَّر)، المزيد، على صيغة (تفعَّل)، بزيادة التاء في أوله، وتضعيف العين ، وقد أعاد الإمام ابن فارس(ت: ٣٩٥ هـ) دلالة مادة هذا الفعل المكونة من (د ب ر) إلى قياس واحد في أغلب استعمالاته وهو: آخر الشيء، وخَلفُه، خلافُ قُبُلِه، ومنه قوله تعالى:﴿ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ﴾[الأنفال:١٦] وقوله تعالى:﴿ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴾[الأنفال:٥٠] أي: قدامهم وخلفهم، وقوله تعالى:﴿ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾[ق:٤٠] أواخر الصلوات . فمعظم الباب أن الدُّبُرَ خلافُ القُبُل . ومنه دَبَر النَّهارُ وأدبر، وذلك إذا جاء آخره وهو دُبُره . ودابَرتُ فلاناً : عاديتُه .وفي الحديث (ولا تدابروا)[١] وهو من الباب ، وذلك أن يترُك كلُّ واحدٍ منهما الإقبالَ على صاحبه بوجهه، والتدبير: أن يُدبِّر الإنسانُ أمرَه ، وذلك أنَّه ينظُر إلى ما تصير عاقبتُه وآخرُه[٢].

التدبر عند المفسرين: دارت عباراتهم في بيان لفظ (التدبر) حول المدلول اللغوي، فقال أبو جعفر النحاس: «معنى تدبرت الشيء: فكرت في عاقبته». اهـ[٣]

وقال الماوردي (ت:٤٥٠هـ): «أصل التدبر الدبور، لأنه النظر في عواقب الأمور». اهـ[٤]

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة وأنس بن مالك ، البخاري كتاب الأدب ، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، انظر الصحيح مع الفتح (٤٩٦/١٠) ، ومسلم ،كتاب البر والصلة، حديث (٢٨-٣١) ،وحديث (٢٣-٢٤).

(٢) معجم مقاييس اللغة(٣٢٤/٢. ٣٢٥) ، وينظر تهذيب اللغة (١١٠/١٤)، ولسان العرب (٢٦٨/٤) ، والمفردات ص٣٠٧، التعريفات ص ٨١ . مادة :(دبر)

(٣) معاني القرآن (١٣٩/٢)، وانظره(١٠٧/٦).

(٤) النكت والعيون(٥١٠/١).

وقال الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) **تدبُّر الأمر: «تأمُّله والنظر في أدباره وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه. ثم استعمل في كل تأمل. فمعنى تدبر القرآن: تأمل معانيه وتبصر ما فيه»اهـ** (١).

وقال ابن القيم(٧٥١هـ): **تدبُّر الكلام: أن ينظر في أوله وآخره، ثم يعيد نظره مره بعد مرة اهـ**(٢).

وقال أبو حيان(ت:٧٥٤هـ): **«التدبر: هو التفكر في الآيات ، والتأمل الذي يفضي بصاحبه إلى النظر في عواقب الأشياء» اهـ** (٣).

وقال الألوسي (ت:١٢٧٠هـ): **«أصل التدبر التأمل في أدبار الأمور وعواقبها، ثم استعمل في كل تأمل سواء كان نظراً في حقيقة الشيء وأجزائه، أو سوابقه وأسبابه، أو لواحقه وأعقابه» اهـ** (٤).

وقال ابن عاشور (ت:**١٣٩٣**هـ): **«التدبر مشتق من الدبر، أي: الظهر، اشتقوا من الدبر فعلا فقالوا: تدبر إذا نظر في دبر الأمر، أي: في غائبه أو في عاقبته، فهو من الأفعال التي اشتقت من الأسماء الجامدة . والتدبر يتعدى إلى المتأمَل فيه بنفسه، يقال: تدبر الأمر. فمعنى ﴿يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ يتأملون دلالته، وذلك يحتمل معنيين:**

أحدهما: أن يتأملوا دلالة تفاصيل آياته على مقاصده التي أرشد إليها المسلمين، أي: تدبر تفاصيله.

وثانيهما: أن يتأملوا دلالة جملة القرآن ببلاغته على أنه من عند الله، وأن

---

(١) الكشاف (١ / ٥٤٦) .

(٢) مفتاح دار السعادة (٢٢٦/١) .

(٣) تفسير البحر المحيط (٩ /١٣٥).

(٤) روح المعاني(٩٢/٣) .

الذي جاء به صادق» اهـ [1].

وقال في موضع آخر: «والتدبر: التفكر والتأمل الذي يبلغ به صاحبه معرفة المراد من المعاني، وإنما يكون ذلك في كلام قليل اللفظ كثير المعاني التي أودعت فيه، بحيث كلما ازداد المتدبر تدبراً انكشفت له معان لم تكن بادية له بادئ النظر...وأصل (يدَّبروا) يتدبروا فقلبت التاء دالاً لقرب مخرجيهما، وهو صيغة تكلف مشتقة من فعل : دَبَر بوزن ضَرَب ، إذا تبع ، فتدبَّره بمنزلة تتبَّعه».

ومعناه: أنه يتعقب ظواهر الألفاظ ليعلم ما يَدْبر ظواهرها من المعاني المكنونة والتأويلات اللائقة. اهـ[2]

وعرفه الشيخ عبد الرحمن السعدي (ت:١٣٧٦هـ) بقوله: «هو: التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم ذلك».[3]

فالتدبر عندهم بحث ونظر وإعمال فكر وتأمل فيما يؤول إليه مدلول ألفاظ القرآن وسياقاته من معان طلباً للعظة والعبرة والتذكر بما فيه من هدايات كما قال تعالى:﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩]، وكما قال:﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[القمر:١٧]، فالتذكر والاذكار بالقرآن هو مقصود التدبر وثمرته، فقد يكون التدبر من قبيل البحث عن الخفي من معاني القرآن، وقد يكون التدبر بعد معرفة المعاني ويقارن ذلك كله تَطَلب الاعتبار والاتعاظ والاهتداء بالهدايات.

---

(١) التحرير والتنوير (١٣٧/٥) .

(٢) التحرير والتنوير(٢٥٢/٢٣) ، وانظر الجامع لأحكام القرآن (١٩٢/١٥) .

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١١٢/٢) .

فعلى هذا يمكن القول: تدبر القرآن هو: التأمل والتبصر لألفاظ القرآن وسياقاته ودلالاتها والاهتداء بها.

فقولي (التأمل والتبصر لألفاظ القرآن وسياقاته) أي: أن التدبر منصب على النص القرآني بألفاظه المفردة وسياقاته، لا على المعاني والتفاسير، وكل من التأمل والتبصر يفيد تكرار النظر مرة بعد مرة فيه بما دلت عليه صيغة (تفعل) بزيادة التاء في أوله وتضعيف العين كما هي صيغة (تدبر) والدالة على شدة بذل الجَهد والتكلف في نظر الفكر وجمعه في تدبر القرآن وتعقله .

وقولي (ودلالاتها والاهتداء بها) لأن كلاً من اللفظ المفرد واللفظ داخل السياق والسياق بجملته له دلالات يتحقق بمجموعها الاهتداء الكامل بترك الكفر والدخول في الإسلام أو الاهتداء الجزئي بتحقيق ثمار التدبر المتعددة في جوانب إصلاح القلوب والجوارح، واستنباط الأحكام و الحِكم، وشهود أثر الأسماء والصفات ونحوها، والانتفاع بذلك وتحويله إلى عمل قلب وعمل جوارح، إذ انتفاع القلب والجوارح بالعلم المحصل من النظر في الآيات، هو ذلك العمل . فالتدبر يورث علماً وعملاً وبصيرة .

المبحث الثاني: الدراسات السابقة .

تعددت الدراسات حول موضوع تدبر القرآن، ومن أهم هذه الدراسات ما يلي:

١) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ﷻ لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني.

وقد ذكر فيه أربعين قاعدة لتدبر القرآن، وشرحها بضرب مجموعة من الأمثلة القرآنية على إعمال هذه القواعد، وأثرها في فهم الآية وتدبرها، وذكر

في المقدمة أن بعض هذه القواعد مسبوقاً إلى الكتابة أو الإشارة إليها، وقد يكون بعض المفسرين قد وضع في تصوره مراعاة بعضها، لكنه لم يجد من راعاها كلها مراعاة تامة في كل ما تدبره من كلام الله، وبعض هذه القواعد لم يحظ بعناية المفسرين .

٢) معارج التفكر ودقائق التدبر، لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني.

وهو عبارة عن تفسير تدبري للقرآن الكريم، بحسب ترتيب النزول وفق منهج كتاب" قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل"، طبع منه اثنا عشر مجلداً فسر فيها ثلاثاً وستين سورة حسب تاريخ النزول.

٣) فتح من الرحيم الرحمن في بيان كيفية تدبر كلام المنان، للأستاذ الدكتور أحمد بن منصور آل سبالك .

ويتكون الكتاب من خمسة أبواب، تكلم فيها عن حقيقة التدبر وأهميته، وخصائص القرآن الكريم وفضائله، والقرآن: القول الفصل بين كلام الله وكلام البشر، ووسائل التدبر، وثمار التدبر.

٤) كيف ننتفع بالقرآن: خطوة نحو تدبر أمثل للدكتور أحمد البراء الأميري.

وقد تحدث فيه مؤلفه عن فضل القرآن وتلاوته وآدابها، وتحدث باختصار عن معنى التدبر، وقارن بينه وبين التأمل الارتقائي.

٥) المراحل الثمان لطالب فهم القرآن، للدكتور عصام بن صالح العويد.

وتحدث فيه مؤلفه عن ثمان مراحل لتدبر القرآن، ابتداء بالوقوف على الآثار الواردة عن الرسول ﷺ والسلف الصالح، وإدراك المعنى اللغوي لمفرداته، ومعرفة دلالة حروف المعاني، ومعرفة دلالة الجملة، وفهم دلالة السياق،

والإحاطة بالمقصود العام للسورة، وجمع الآيات الأخرى في الموضوع نفسه، وتدوين أخبار وقصص السلف مع القرآن.

٦) مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، للدكتور مساعد بن سليمان الطيار.

عرض فيه مؤلفة تحرير مفاهيم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، وبيان ما يقع في فهم هذه المصطلحات من خلل.

٧) مفهوم التدبر في ضوء الدراسة التحليلية لآياته في القرآن، للدكتور محمد بن زيلعي هندي.

تحدث الباحث عن مفهوم تدبر القرآن في ضوء الدراسة التحليلية لآياته، بهدف معرفة ذلك المفهوم ، ومعرفة معالم منهج تدبر القرآن في ضوء ذلك المفهوم.

وقام بدراسة مفهوم التفكر في اللغة، ودراسة آيات التدبر دراسة تحليلية، وحدد مفهوم التدبر ومنهجه في ضوء تلك الدراسة التحليلية.

المبحث الثالث: موارد مادة (دَبَرَ) في القرآن.

وردت مادة (دَبَرَ) في القرآن الكريم في أربعة وأربعين موضعا تدور ألفاظها على الصيغ الآتية:

﴿يَتَدَبَّرُونَ﴾ في آيتين [النساء:٨٢] [محمد:٢٤] .

﴿يَدَّبَّرُوا﴾ في آيتين [المؤمنون:٦٨] [ص:٢٩].

﴿يُدَبِّرُ﴾ في أربع آيات [يونس:٣] [يونس:٣١] [الرعد:٢] [السجدة:٥].

﴿أَدْبَرَ﴾ في أربع آيات [المعارج:١٧] [المدثر:٢٣] [المدثر:٣٣] [النازعات:٢٢].

﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ﴾ في آية واحدة [النازعات:٥].

﴿مُدْبِرًا﴾ بالإفراد وبالجمع في ثمان آيات [النمل :١٠]، و[القصص:٣١]، [التوبة:٢٥] [الأنبياء:٥٧] [النمل:٨٠] [الروم:٥٢] [الصافات:٩٠] [غافر:٣٣].

﴿ وَإِدْبَارَ﴾ في آية واحدة [الطور:٤٩] .

﴿الْأَدْبَارَ﴾ في ثلاث عشرة آية [آل عمران:١١١] [النساء:٤٧] [المائدة:٢١] [الأنفال:١٥] [الأنفال:٥٠] [الحجر:٦٥] [الإسراء:٤٦] [الأحزاب:١٥] [محمد:٢٥] [محمد:٢٧] [الفتح:٢٢] [ق:٤٠] [الحشر:١٢] .

﴿دَابِرُ﴾ في أربع آيات [الأنعام:٤٥] [الأعراف:٧٢] [الأنفال:٧] [الحجر٦٦].

﴿دُبُرَهُ﴾ في خمس آيات [الأنفال:١٦] [يوسف:٢٥] [يوسف:٢٧] [يوسف:٢٨] [القمر:٤٥].

المبحث الرابع : وجوه مادة (دبر) في القرآن .

وردت مادة (د ب ر) في القرآن الكريم على سبعة أوجه:

الوجه الأول: تصريف الأمور وتدبيرها على ما يكون فيه صلاح عاقبتها[1]، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ﴾[يونس:٣]، أي: يتصرف في الخلائق بأسرها ولا يشغله شأن عن شأن[2].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس:٣١]، ومنه قوله تعالى:﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [السجدة:٥].

ومنه قوله تعالى:﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد:٢] أي:

(١) انظر المفردات ص ٣٠٧، بهجة الأريب ص ٦٦، وتحفة الأريب ص ١٢٢.
(٢) الترجمان والدليل لآيات التنزيل مادة "دبر" ص ٧٨ .

يقضي الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها أمورَ الدنيا والآخرة كلها، ويدبِّر ذلك كله وحده، بغير شريك ولا ظهير ولا معين سبحانه[١].

ومنه قوله تعالى:﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾[النازعات:٥] أي: الملائكة المدبرة ما أُمرت به من أمر الله.[٢]

الوجه الثاني :الظهر والخلف [٣]، ومنه قوله تعالى:﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴾[الأنفال:٥٠] أي: ظهورهم، واستاههم[٤]، ومثله قوله تعالى:﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾[محمد:٢٧].

ومثله قوله تعالى:﴿ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴾[الصافات:٩٠] أي: ولَّوه أدبارهم، أي: ظهورهم، والمعنى: ذهبوا وخلفوه وراءَ ظهورهم [٥].

ومثله قوله تعالى:﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ ﴾[الحجر: ٦٥]، والمعنى: واتبع يا لوط أدبار أهلك الذين تسري بهم وكن من ورائهم، وسر خلفهم وهم أمامك[٦].

ومثله قوله تعالى:﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾[يوسف:٢٥] أي: من خلف.

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[يوسف: ٢٧] أي: من خلف.

ومثله قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ﴾[يوسف: ٢٨].

---

(١) جامع البيان(١٦/٣٢٦) ط: شاكر .

(٢) انظر جامع البيان(٣٠/٣١) ، وتفسير ابن كثير (٨/٣٣٥) .

(٣) انظر إصلاح الوجوه والنظائر ص١٧١ ، والمفردات ص ٣٠٦، وتحفة الأريب ص ١٢٢، والترجمان والدليل لآيات التنزيل ص ٧٨.

(٤) انظر جامع البيان(١٤/١٥.١٦) ط: شاكر .

(٥) التحرير والتنوير(٢٣/١٤٢) .

(٦) جامع البيان(١٤/٤٢) .

ومثله قوله تعالى:﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا ﴾[النساء: ٤٧] أي: نحوِّل وجوهها قِبَل ظهورها. يعني بذلك: فنجعل الوجوه في أدبار الوجوه فيكون معناه: فنحوّل الوجوه أقْفاءً والأقفَاء وجوهًا، فيمشون القهقرى(١).

ومنه قوله تعالى:﴿ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ [غافر:٣٣] أي: يوم تفرّون القهقرى هاربين من هول ما تجدونه، ومن ذلك قول الله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴾ [الأنفال:١٥] أي: فلا تولوهم ظهوركم فتنهزموا عنهم، ولكن اثبتوا لهم(٢).

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ﴾[آل عمران:١١١]، أي: الظهور كناية عن انهزامهم، لأن المنهزم يحوِّل ظهره إلى جهة الطالب هربًا(٣).

ومثله قوله تعالى: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴾[التوبة: ٢٥] أي : منهزمين، ومثله قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ﴾[الأحزاب:١٥] الأدبار: الظهور، وتولية الأدبار: كناية عن الفرار(٤).

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ﴾[الفتح:٢٢] أي : لجعلوا ظهورهم تَليكم ، أي ارتدوا إلى ورائهم فصُرتم وراءهم(٥).

ومثله قوله تعالى:﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾[الحشر:١٢]، ومثله قوله تعالى: ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾[المائدة:٢١] أي: لا ترجعوا إلى ورائكم(٦).

---

(١) جامع البيان(٨/٤٤٠-٤٤٣) ط: شاكر .

(٢) جامع البيان(١٣/٤٣٥) ط: شاكر .

(٣) جامع البيان(٧/١٠٩) ط: شاكر .

(٤) التحرير والتنوير(٢١/٢٨٩) .

(٥) التحرير والتنوير(٢٥/١٨٢) .

(٦) جامع البيان(١٠/١٧٠) ط: شاكر .

ومثله قوله تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾[القمر:٤٥] والدبر: الظهر، وهو ما أدبر، أي: كان وراءً، وعكسه القبل، والآية إخبار بالغيب، فإن المشركين هُزموا يوم بدر، وولوا الأدبار يومئذٍ(١).

ومثله قول الله تعالى:﴿ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ﴾[الأنفال:١٦] أي: ظهره فاراً إلا متحرفاً لقتال.

الوجه الثالث: الذهاب والرجوع(٢)، ومنه قوله تعالى:﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾[الأنبياء:٥٧].

ومنه قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾[النمل: ١٠] و [القصص: ٣١] والإدبار: التوجه إلى جهة الخلف وهو ملازم للتولي(٣).

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾[الطور:٤٩] يعني: حين تدبر النجوم للأفول عند إقبال النهار(٤).

ومنه قوله تعالى:﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴾ [المدثر:٣٣] والمعنى: والليل إذ ولّى ذاهبا(٥).

الوجه الرابع: التولي عن الحق والإعراض عنه(٦)، ومنه قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ ﴾[محمد:٢٥] أي: رجعوا القهقرى على أعقابهم كفارا بالله من بعد ما تبين لهم الحقّ(٧).

---

(١) التحرير والتنوير(٢١٣/٢٧) .

(٢) انظر الوجوه والنظائر ص ١٧٢، والترجمان والدليل لآيات التنزيل ص ٧٨ .

(٣) التحرير والتنوير(٢٢٨/١٩) .

(٤) جامع البيان(٣٩/٢٧) .

(٥) جامع البيان(١٦٢/٢٩) .

(٦) انظر إصلاح الوجوه والنظائر ص١٧١، والمفردات ص ٣٠٧، وتحفة الأريب ص١٢٢ .

(٧) جامع البيان(٥٨/٢٦) .

ومثله قوله تعالى:﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾[الروم:٥٢].

ومنه قوله تعالى:﴿ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴾[المعارج:١٧] أي: تدعو لظى من أدبر عن الحقّ في الدنيا وأعرض عنه [١].

ومنه قوله تعالى:﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴾[المدثر:٢٣] والمعنى: ثم ولى عن الإيمان والتصديق بما أنزل الله من كتابه، واستكبر عن الإقرار بالحق[٢]، ومنه قوله تعالى:﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى ﴾[النازعات:٢٢] والمعنى: ثم ولَّى مُعرضا عما دعاه إليه موسى من طاعته ربه، وخشيته وتوحيده.[٣].

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾[النمل:٨٠] أي: إذا هم أدبروا معرضين عنه، لا يسمعون له لغلبة دين الكفر على قلوبهم[٤]، ومنه قوله تعالى:﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾[الإسراء:٤٦] أي: انفضوا، فذهبوا عنك نفورا من قولك استكبارا له واستعظاما من أن يوحِّد الله تعالى[٥].

الوجه الخامس: الغابر والآخِر[٦]، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾[الأنفال:٧] يقول: يريد أن يَجُبَّ أصل الجاحدين توحيدَ

(١) جامع البيان(٢٩/٧٧) .
(٢) جامع البيان(٢٩/١٥٧) .
(٣) جامع البيان(٣٠/٤٠) .
(٤) جامع البيان(٢٠/١٢) .
(٥) جامع البيان(١٥/٩٤) .
(٦) انظر إصلاح الوجوه والنظائر ص ١٧٢ .

الله، ومعنى «دابر»: المتأخر، ومعنى «قطعه»: الإتيان على الجميع منهم[١].

ومنه قوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الأنعام:٤٥] أي: استؤصل القوم الذين عَتَوا على ربهم، فلم يترك منهم أحدٌ إلا أهلك، و«دابر القوم» الذي يدبرُهم، وهو الذي يكون في أدبارهم وآخِرهم[٢].

ومثله قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ [الحجر:٦٦] أي: إن آخر قومك وأوّلهم مجذوذ مستأصل صباح ليلتهم[٣]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الأعراف:٧٢] والمعنى: وأهلكنا الذين كذَّبوا من قوم هود عن آخِرهم، فلم نبق منهم أحدًا[٤].

الوجه السادس : عقيب الشيء أو آخِره[٥]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴾[ق:٤٠] أي: سبح بحمد ربك أدبار السجود من صلاتك[٦].

ومثله قوله تعالى في سورة الطور:﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾[الطور:٤٩] على قول من جعل المعني به صلاة الفجر.

---

(١) جامع البيان(١٣/٤٠٧) ط: شاكر .

(٢) جامع البيان(١١/٣٦٣. ٣٦٤) ط: شاكر .

(٣) جامع البيان(١٤/٤٢) .

(٤) جامع البيان(١٢/٥٢٣) ط: شاكر .

(٥) انظر إصلاح الوجوه والنظائر ص ١٧١، وتحفة الأريب ص ١٢٢، والترجمان والدليل لآيات التنزيل ص ٧٨-٧٩ .

(٦) جامع البيان (٢٦/١٨٠) .

الوجه السابع: تدبر القرآن وتفهمه[1]، وهو تأمله ليتحصل على بعض ما اشتمل عليه من المنافع الدنيوية والأخروية[2]، وقد ورد في أربع آيات، وهي قول الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]، «وهذا استفهام معناه الإنكار أي: فلا يتأملون ما نزل عليك من الوحي ولا يعرضون عنه، فإنه في تدبره يظهر برهانه ويسطع نوره ولا يظهر ذلك لمن أعرض عنه ولم يتأمله»[3]، وهذه الآية في سياق الخبر عن المنافقين.

والآية الثانية قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون:٦٨] أي: أفلا يتفكرن في القرآن، ويتأملونه، ويتدبرونه، أي: فإنهم لو تدبروه لأوجب لهم الإيمان، ولمنعهم من الكفر[4]، وهي في سياق الخبر عن الكفار.

والآية الثالثة قوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩] أي: ليتدبَّروا حُجَج الله التي فيه، وما شرع فيه من شرائعه، فيتعظوا ويعملوا به[5]، وسياق هذه الآية يحتمل الخطاب فيها أن يكون للكفار ويحتمل أن يكون للمؤمنين.

والآية الرابعة قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد:٢٤]، وهي في سياق الخبر عن المنافقين، وهذه الآيات الأربع في

(١) انظر إصلاح الوجوه والنظائر ص ١٧٢ .

(٢) الترجمان والدليل لآيات التنزيل ص ٧٨.

(٣) تفسير البحر المحيط (٣/٧٢٥) .

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٥ /٣٦٣) .

(٥) جامع البيان(٢٣ /١٥٣) .

سياق التوبيخ والإنكار عليهم لإعراضهم عن تدبر القرآن، أو بيان يتضمن الدعوة لتدبر القرآن كما في آية سورة «ص».

المبحث الخامس: أركان تدبر القرآن.

إن تدبر القرآن لا يتم إلا إذا اجتمعت ثلاثة أمور، ويمكن أن نطلق عليها أركان تدبر القرآن:

الركن الأول: المتدبِّر وهو القائم بفعل التدبر، ويدخل فيه المسلم وغير المسلم إذ كل منهما مأمور بتدبر القرآن ليهتدي بما فيه من هدايات، فالكافر مخاطب بتدبر القرآن لإرشاد نفسه إلى خالقها لتحقيق العبودية لله تعالى، وعند تأمل السياقات القرآنية الوارد فيها الأمر بتدبر القرآن نجد أنها جاءت في سياق توبيخ المشركين والمنافقين كقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (٨١) أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[النساء: ٨١-٨٢]، وكقوله تعالى: ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ (٦٣) حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ (٦٤) لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ (٦٥) قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ (٦٦) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ (٦٧) أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾[المؤمنون: ٦٣-٦٨].

ومثلها قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ

﴿الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٢٨) كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[ص:٢٧-٢٩]، ومثلها قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ (٢٠) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ (٢١) فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (٢٣) أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[محمد:٢٠-٢٤] ففي جميع هذه السياقات القرآنية التي ورد فيها الأمر بتدبر القرآن ورد في سياق خطاب الكفار أو المنافقين، الذين لم يؤمنوا بالقرآن ولم يهتدوا بهديه لأنهم لم يتدبروه وقد أنكر الله تعالى عليهم إعراضهم عن تدبر القرآن في عموم الآيات الواردة في هذا الشأن.

أما المسلمون فهم أهل التدبر، وتحتمل آية سورة «ص» توجه الخطاب لهم، وما هدايتهم إلى الإسلام إلا ثمرة من ثمار تدبر القرآن، وما التزموه من توجيهات القرآن وما اعتبروا به من أمثاله، وما اتعظوا به من مواعظه فهو من ثمار تدبرهم للقرآن، وهم مطالبون بالاستمرار والثبات على تَطَلُّب هدايات القرآن، وبهذا يعلم أن الأمر بتدبر القرآن متجه للناس كافة مؤمنهم وكافرهم، عالمهم وعوامهم، فجميع الناس مأمورون بتدبر القرآن طلباً لهداياته كما جاء الخطاب في الآيات عاماً.

الركن الثاني: المتدبَّر وهو آيات القرآن الكريم، ففي جميع المواضع التي ورد فيها الأمر بالتدبر اتجه الأمر بالتدبر إلى القرآن الكريم أو آياته كقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾[النساء:٨٢ ، محمد:٢٤]، وقوله: ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾[ص:٢٩]،

وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾[المؤمنون:٦٨] أي: القرآن[١]، ولم يرد في كتاب الله تعالى الأمر بتدبر شيء غير القرآن، بينما ورد الأمر بالتفكر والتذكر والاستبصار ونحوها للقرآن وغيره من المعاني والأفعال والأوصاف والهيئات، فدعى إلى التفكر في آياته المتلوة في مثل قوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[البقرة:٢١٩].

ودعى للتفكر في آياته المنظورة في مثل وقوله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الرعد:٣].

ودعى إلى التذكر بآياته المنظورة في الكون في مثل قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٥٧].

ودعى إلى التذكر بآياته المتلوة في مثل قوله تعالى:﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[النور:١] .

ومثل ذلك السماع لآياته المنظورة في قوله تعالى:﴿ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [النحل:٦٥]، والسماع لآياته المتلوة في مثل قوله تعالى:﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن (١٣٩/١٢) ، وتفسير ابن كثير (٤٧٧/٥) .

فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾[فصلت : ٤٠٣].

ومثل ذلك العقل لآياته المتلوة في مثل قوله تعالى:﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[الأنبياء:١٠]، والعقل لآياته المنظورة في مثل قوله تعالى:﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[المؤمنون:٨٠] ونظائر هذه الآيات كثيرة جداً.

الركن الثالث: أداة التدبُّر وهي لغة العرب التي نزل بها القرآن وجرت ألفاظه وسياقاته على سَنَنِها، وقد أخبر الله تعالى عن إنزاله القرآن بلسان العرب في آيات كثيرة منها قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾[النحل:١٠٣].

ومنها قوله تعالى:﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٥]، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ فأخبر الله تعالى في هذه الآيات ونظائرها أنه أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فكون القرآن عربياً من أعظم دواعي وأسباب عقله وفهمه وفقهه، ومن دواعي وأسباب إحداث العظة والعبرة، والبشارة والنذارة، وتحقيق التقوى لتاليه ومُتدبره، إذ عربة لسانه محققة لذلك كله كما جاء في الآيات الآنفة الذكر، فمن رام تدبره فلا بد له من هذا اللسان، إذ لا يتصور من الأعاجم الذين لا يفهمون معانيَ الألفاظ العربية ولا دلالاتها في سياقات الجمل أن يكونوا متدبرين للقرآن إذ ذلك محال، فمعرفة العربية ودلالات ألفاظها وسياقات جملها ركن رئيس من أركان تدبر القرآن، وهي لابد لها من التعلم، وإلا لأصبح التدبر نوعاً من الخرس والهذيان الذي ينزه عنه القرآن، ولا يشترط

العلم بكافة تفاصيل علوم العربية، وإنما المقصود أن يكون المتدبر قادراً على فهم مدلول ألفاظ اللسان العربي وجمله فيما يشترك فيه جمهورهم، وكلما اتسع علم المتدبر بالعربية وفنونها كان حظه من فهم القرآن وتدبره أوسع، وذلك لجريان القرآن على لسان العرب وسننها في الكلام.

قال الإمام ابن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ): «ومحالٌ أن يقال لبعض أصناف الأمم الذين لا يعقلون كلامَ العرب ولا يفهمونه، لو أنشِد قصيدة شعرٍ من أشعار بعض العرب ذاتَ أمثالٍ ومواعظ وحِكم: «اعتبر بما فيها من الأمثال، وادّكر بما فيها من المواعظ»– إلا بمعنى الأمر لها بفهم كلامِ العرب ومعرفتِه، ثم الاعتبار بما نبهها عليه ما فيها من الحكم، فأما وهي جاهلة بمعاني ما فيها من الكلام والمنطق، فمحالٌ أمرُها بما دلَّت عليه معاني ما حوته من الأمثال والعِبَر. بل سواء أمرُها بذلك وأمرُ بعض البهائم به، إلا بعدَ العلم بمعاني المنطق والبيان الذي فيها.

فكذلك ما في آي كتاب الله من العبر والحِكم والأمثال والمواعظ، لا يجوز أن يقال: «اعتبرْ بها» إلا لمن كان بمعاني بيانه عالمًا، وبكلام العرب عارفًا؛ وإلا بمعنى الأمر –لمن كان بذلك منهُ جاهلا– أنْ يعلم معاني كلام العرب، ثم يتدبَّره بعدُ، ويتعظ بحِكمَه وصُنوف عِبَرِه». اهـ [1]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية(ت:٧٢٨هـ): لا بد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدلّ على مراد الله ورسوله من الألفاظ، وكيف يفهم كلامه، فمعرفة العربيّة التي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله

(١) جامع البيان(١/٨٢-٨٣) ط: شاكر

بكلامه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني، فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب، فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدّعون أنه دال عليه، ولا يكون الأمر كذلك. اهـ[1].

المبحث السادس: الوسائل المعينة على تدبر القرآن.

إن المنهج القرآني الذي ربى النبي ﷺ عليه صحابته ﷺ في أخذ القرآن وتعلمه وتلاوته وتدبره من أعظم المناهج التي استكملت الوسائل المعينة على تحقيق التدبر، يمكن جمع أصولها في الوسائل التالية:

١) أخذ القرآن منجماً، وعلى مكث كما أنزله الله تعالى على نبيه ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء:١٠٦]، وكما قال تعالى:﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾[الفرقان:٣٢]، قال الحسن(ت:١١٠هـ) في قوله: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾: كان ينزل آية وآيتين وآيات جواباً لهم، إذا سألوا عن شيء أنزله الله جواباً لهم، وردّاً عن النبيّ فيما يتكلمون به، وكان بين أوله وآخره نحو من عشرين سنة». اهـ[2]

وقال ابن جُرَيج (ت:١٥٠هـ): «كان بين ما أنزل القرآن إلى آخره أنزل عليه لأربعين، ومات النبي ﷺ لثنتين أو لثلاث وستين». اهـ[3]

(١) مجموع الفتاوى (١١٦/٧) .
(٢) أخرجه عنه ابن جرير في جامع البيان (١١/١٩) .
(٣) أخرجه عنه ابن جرير في جامع البيان (١١/١٩) .

وعلى هذا المنهج في تلقي القرآن علم النبي ﷺ صحابتهﷺ، وكذا أخذه الصحابة فكانوا يأخذونه منجماً على عشر آيات لا يجاوزونها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل، فعن ابن مسعود ﷺ (ت:٣٢هـ) قال: «كانَ الرجل مِنَّا إذا تعلَّم عَشْر آياتٍ لم يجاوزهُنّ حتى يعرف معانيهُنَّ، والعملَ بهنَّ».(١)

وقال أبو عبد الرحمن السلمي(ت:٧٤هـ): «حدثنا الذين كانوا يُقرِئوننا: أنهم كانوا يستقرِئون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلَّموا عَشْر آيات لم يخلِّفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلَّمنا القرآن والعمل جميعًا»(٢).

٢) ترتيل القرآن والترسل في قراءته، «فمن أجل التدبر أمر الله بالترتيل في قوله:﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾[المزمل:٤]»(٣)، فالتدبر لا يكون إلا مع القراءة المترسلة، والآية تضمنت تعليم النبي ﷺ وتعليم أمته كيف يقرأون القرآن قراءة تدبر وتفهم وانتفاع، وكذلك أنزله الله تعالى فقال:﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان:٣٢].

قال الحافظ ابن كثير(ت:٧٧٤هـ) في تفسير هذه الآية : «أي: اقرأه على تمهل، فإنه يكون عونا على فهم القرآن وتدبره. وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه، قالت عائشة رضي الله عنها(ت:٥٨هـ): كان يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها».(٤)

(١) أخرجه عنه ابن جرير في جامع البيان (١ / ٨٠) أثر(٨١) ط: شاكر .
(٢) أخرجه عنه ابن جرير في جامع البيان (١ / ٨٠) أثر(٨٢) ط: شاكر .
(٣) قاعدة في فضائل القرآن لابن تيمية ص ٦٨ .
(٤) أخرجه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، حديث (١١٨) ، عن حفصة وبألفاظ مقاربة عن عائشة رضي الله عنها.

وفي صحيح البخاري عن أنسﷺ (ت:٩٣هـ): أنه سُئل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال: «كانت مداً، ثم قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يمد بسم الله، ويمد الرحمن، ويمد الرحيم»[١].اهـ[٢]

وعلى ذلك كانت قراءة خيار الأمة وسلفها، يرتلون القرآن ويستعينون بذلك على تدبره وتفهمه لتنتفع القلوب به، وأخبارهم في ذلك كثيرة من جملتها ما رواه ابن أبي مليكة (ت:١١٧هـ) قال: صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة ومن المدينة إلى مكة، وكان يصلي ركعتين، فإذا نزل قام شطر الليل، يرتل القرآن حرفاً حرفاً، ويُكثر في ذلك من النشيج والنحيب[٣].

وعن أبي جمرة (ت:١٢٨هـ)[٤] قال: قلت لابن عباسﷺ (ت:٦٨هـ): إني سريع القرآن، إني أقرأ القرآن في ثلاث، قال: لأن اقرأ البقرة في ليلة أتدبرها وأرتلها أحب إلي من أن أقرأه كما تقرأ.[٥]

ومثله قول ابن مسعودﷺ(ت:٣٢هـ): لا تنثروه نثر الرمل، ولا تهذوه هذ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة[٦] .

وقال ابن عطية الأندلسي(ت: ٥٤٢) في تفسير قوله تعالى:﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[ص:٢٩] قال: وظاهر هذه الآية يعطي أنّ التدبُّر من أسباب إنزال القرآن، فالترتيل إذًا أفضل من الهذ، إذ التدبُّر لا يكون إلا مع الترتيل. اهـ[٧]

٣) حضور القلب عند تلاوة القرآن وتدبره، وكلما كان العبد لقلبه أجمع، وعن

---

(١) البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب مد القراءة . انظر الصحيح مع الفتح (٧٠٨/٨).
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٧٦/٨) ، وانظر فضائل القرآن له ص ٢٣٥ ، ٢٥٦.
(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢٣/٥) رقم(١٨٩٩) .
(٤) اسمه: نصر بن عمران، وثقه أحمد وابن معين وأبو زرعة. تهذيب الكمال (٣٦٤/٢٩)
(٥) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧/٥) رقم(١٨٨٢) ، وأبو عبيد في فضائل القرآن ص١٥٧.
(٦) رواه البغوي في تفسيره (٢٥١/٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٨/٥) رقم(١٨٨٣-١٨٨٤).
(٧) المحرر الوجيز (٢٩/١٤) .

الشواغل أبعد، كان أقرب إلي فهم وتدبر ما يتلو من كتاب الله، إذ القلب محل تفهم القرآن وتدبره، وعند تأمل قول الله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة:٩٧]، وقوله: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٤] تظهر منزلة القلب إذ خصه الله تعالى بإنزال القرآن عليه، فكان قلب النبي ﷺ محلاً للقرآن، فكذلك الحال لمن أراد تفهم القرآن وتدبره يجب أن يكون حاضر القلب.

قال ابن القيم (ت:٧٥١هـ): قاعدة جليلة: إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:٣٧].اهـ(١)

وقال الزركشيّ (ت:٧٩٤هـ): «إذا كان العبد مصغياً إلى كلام ربه، ملقيَ السمع، وهو شهيد القلب لمعاني صفات مخاطبه، ناظراً إلى قدرته، تاركاً للمعهود من علمه ومعقوله، متبرّئاً من حوله وقوّته، معظّماً للمتكلَّم، مفتقراً إلى التفهم، بحالٍ مستقيم، وقلب سليم، وقوة علم، وتمكن سمعٍ لفهم الخطاب، وشهادة غيب الجواب بدعاء وتضرعٍ، وابتئاسٍ وتمسكُنٍ، وانتظارٍ للفتحِ عليه من عند الفتّاحِ العليمِ، وليستعنْ على ذلك بأن تكون تلاوتُهُ على معاني الكلام وشهادة وصفِ المتكلّم، من الوعد بالتشويق، والوعيد بالتخويف، والإنذار بالشديد، فهذا القارئ أحسنُ الناس صوتاً بالقرآن، وفي مثل هذا قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾[البقرة: ١٢١]، وهذا هو الراسخ في

(١) الفوائد ص ٥ .

العلم، جعلنا الله من هذا الصنف ﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب:٤].اهـ[١]، وقد جمع الله تعالى ذلك في قوله:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[محمد:٢٤] فعلق فهم القرآن وتدبره على انفتاح القلب وحضوره كما دلً عليه المفهوم، وعلق الانصراف عن فهم القرآن وعن تدبره على انغلاق القلب كما دل عليه منطوق قوله:﴿ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ أي :«أم أقفل الله على قلوبهم فلا يعقلون ما أنزل الله في كتابه من المواعظ والعِبَر»[٢].

٤) فهم معاني الآيات المتدبرة، إذ فهم المعنى باب عظيم للمتدبرين، يلجون منه إلى كنوز القرآن وهداياته، قال شيخ الإسلام ابن تيمية(ت:٧٢٨هـ): والذي يعين المتدبر على استخراج دُرره وجواهره، والاهتداء بأنوار بصائره علم التفسير الذي هو مفتاح باب فهمه، ومصباح أسباب علمه، والكفيل بفتح مقفله، والقبيل بشرح مشكله، والمهيمن على تفصيل مجمله، فإن تدبره واتباعه والعمل بما فيه لا يكون إلا بعد فهمه ومعرفة معانيه .اهـ[٣]

وقال ابن جرير الطبري(ت:٣١٠هـ): «وفي حَثِّ الله عز وجلّ عباده على الاعتبار بما في آي القرآن من المواعظ والبينات–بقوله جل ذكره لنبيه ﷺ: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[ص:٢٩]، وقوله:﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[الزمر:٢٧-٢٨]، وما أشبه ذلك من آي القرآن، التي أمر الله عبادَه وحثهم فيها على الاعتبار بأمثال آي القرآن، والاتِّعاظ بمواعظه– ما يدلّ على أنَّ عليهم معرفةَ

(١) البرهان في علوم القرآن (٢ / ١٨١) .

(٢) جامع البيان (٥٧/٢٦) .

(٣) قاعدة في فضائل القرآن ص ٦٩-٧٠ .

تأويل ما لم يُحجب عنهم تأويله من آيه؛ لأنه محالٌ أن يُقال لمن لا يفهمُ ما يُقال له ولا يعقِل تأويلَه: «اعتبرْ بما لا فَهْم لك به ولا معرفةَ من القِيل والبيان والكلام»– إلا على معنى الأمر بأن يفهمَه ويفقّهَه، ثم يتدبَّره ويعتبرَ به. فأما قبلَ ذلك، فمستحيلٌ أمرُه بتدبره وهو بمعناه جاهل ...فما في آي كتاب الله من العبر والحِكم والأمثال والمواعظ، لا يجوز أن يقال: «اعتبرْ بها» إلا لمن كان بمعاني بيانه عالمًا، وبكلام العرب عارفًا...» اهـ[١].

٥) الأخذ بالأسباب المعينة على التدبر، ومنها اقتران تدبر القرآن بليل التالين المتدبرين، ففي الليل سكون النفس واجتماع القلب بعكس النهار إذ تكثر شواغله و شوارده[٢]، كما قال تعالى:﴿ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ [المزمل:٢-٦].

قال الحافظ ابن كثير(ت:٧٧٤هـ): المقصود أن قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب واللسان، وأجمع على التلاوة، ولهذا قال:﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ أي: أجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار، لأنه وقت انتشار الناس ولغط الأصوات وأوقات المعاش ... ولهذا قال تعالى:﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴾[المزمل:٧].اهـ[٣]

(١) جامع البيان(١/٨٢-٨٣) ط: شاكر

(٢) انظر فضائل القرآن لأبي عبيد ص ١٧١ .

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/٢٧٨) ، وانظر فضائل القرآن لأبي عبيد ص ١٤١، وفضائل القرآن لابن الضريس ص ٢٧.

وفي حديث حذيفة بن اليمان﷿(ت:٣٦هـ) قال: «صليتُ مع النبيِّ ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلتُ: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلتُ: يصلِّي بها في ركعة، فمضى فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء، فقرأها، ثم افتتح آل عمران، فقرأها، يقرأ مترسِّلا، إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبّح، وإذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوُّذ تعوَّذ ...»(١).

وفي حديث أبي ذر﷿(ت:٣٢هـ) قال: قام النبي ﷺ بآية حتى أصبح يُرَدِّدُهَا، والآيةُ:﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[المائدة:١١٨].(٢) فهذه القراءة المترسلة في جوف الليل المقترنة بالصلاة حققت تدبراً ظهرت آثاره في تسبيح النبي ﷺ وسؤاله وتعوذه كما في حديث حذيفة﷿ (ت:٣٦هـ) وتكرار تلاوة آية المائدة حتى الصبح كما في حديث أبي ذر﷿ .

وقد وصف الله تعالى حال عباده من أهل الكتاب في معرض الثناء عليهم بقوله:﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ [آل عمران:١١٣] فتضمنت الآية المدحة لهم بتلاوة آيات الله آناء الليل، وفي هذا التنبيه على أثر الليل في تلاوة التالين بما لا يخفى.

٦) العقل والفطنة والذكاء التي يمنحها الله تعالى لعباده والناس، يتفاوتون في هذه المنحة فكلما اتسع عطاء الله تعالى للعبد منها زادت المنح التي ينالها العبد بتدبره لكتاب الله، وقد أشار الله تعالى إليها في قوله: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص:٢٩]أي: وليتذكر "أولو العقول الصحيحة،

(١) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، حديث (٢٠٣) .

(٢) أخرجه النسائي ، كتاب الافتتاح، باب ترديد الآية (١٧٧/٢) ، وابن ماجة، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في القراءة في صلاة الليل (٤٢٩/١)، وأبو عبيد في فضائل القرآن ص ١٤٤، وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢١٨/١) وصحيح سنن ابن ماجة (٢٢٥/١). وأخرج الترمذي نحوه من حديث عائشة في كتاب أبواب الصلاة، باب ما جاء في قراءة الليل (٣١٠/٢) إلا أنها لم تذكر آية المائدة، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٣٩/١) .

يتذكرون بتدبرهم لها كل علم ومطلوب، فدل هذا على أنه بحسب لب الإنسان وعقله يحصل له التذكر والانتفاع بهذا الكتاب".[١] وجملة هذه الوسائل وفروعها تحقق للعبد تدبراً وفهماً وانتفاعاً بالقرآن.

المبحث السابع: من ثمرات تدبر القرآن وآثاره.

إن تدبر القرآن يُتَطَلَب من أجل الحصول على هداياته ونوال بركته، وقد قرن الله تعالى بين الخبر عن إنزال القرآن وبركته، والأمر بتدبره، فقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص:٢٩] فدل هذا الاقتران على أن تدبر المتدبرين للقرآن من أجل نوال بركة هذا الكتاب المُنزل، وأن ما يتحصل للعبد المتدبر من ثمارٍ علميةٍ وعمليةٍ هي من بركات هذا الكتاب العظيم، فمن جملة هذه الثمار والآثار على المتدبرين:

١) إحداث الإيمان في القلوب، كما قال تعالى:﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[المائدة:٨٣].

وقد نعى الله تعالى على المعرضين عن تدبر القرآن، إذ لو تدبروه لأحدث لهم إيماناً في قلوبهم فقال تعالى:﴿ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ (٦٦) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ (٦٧) أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون:٦٦-٦٨] والمعنى: «أفلا يتفكرن في القرآن، ويتأملونه ويتدبرونه، أي : فإنهم لو تدبروه لأوجب لهم الإيمان، ولمنعهم من الكفر، ولكن المصيبة التي أصابتهم بسبب إعراضهم عنه».[٢]

٢) زيادة إيمان المتدبر، فإن تلاوة كتاب الله بتأمل وتدبر تزيد إيمان التالي المُتَدبِر، كما قال تعالى:﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٦/٤١٨-٤١٩) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٥/٣٦٣) .

زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[الأنفال:٢]، وكما قال:﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[التوبة:١٢٤]، وكما قال: ﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾[القصص:٥٣] .

٣) العمل والإتباع، إذ ما أنزل الله القرآن إلا للإتباع والعمل به، وجعل التدبر طريق تحقيقه فقال تعالى:﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص:٢٩]، وأثنى على المتبعين لآياته المستجيبين لتوجيهاته العاملين به بقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾[الفرقان:٧٣]، أي: «والذين إذا ذكَّرهم مذكِّر بحجج الله لم يكونوا صما لا يسمعون، وعميا لا يبصرونها، ولكنهم يِقَاظُ القلوب، فهماء العقول، يفهمون عن الله ما يذّكرهم به، ويفهمون عنه ما ينبههم عليه، فيوعون مواعظه آذانا سمعته، وقلوبا وعته»[(١)].

وقال أهل التفسير في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾[البقرة: ١٢١] يتبعونه حق اتباعه.[(٢)] قال ابن مسعودﷺ(ت:٣٢هـ): «والذي نفسي بيده، إن حق تلاوته: أن يحل حلاله ويحرم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله، ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأول منه شيئا على غير تأويله».[(٣)]

فالعمل بالقرآن هو المقصود من إنزاله؛ لذا كان الجزاء العظيم للعاملين به، كما في حديث النواس بن سمعان ﷺ قال: سمعت النبيَّ ﷺ يقول: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به، تقدمه سورة البقرة وآل عمران». وضرب لهما رسول الّله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهنَّ بعد. قال:« كأنهما

(١) جامع البيان (١٩/٥١) .

(٢) انظر فضائل القرآن لأبي عبيد ص ١٣٠، وجامع البيان (٢/٥٦٦) ط: شاكر .

(٣) رواه ابن جرير في جامع البيان(٢/٥٦٧)، أثر رقم(١٨٨٦)، وانظر تفسير ابن أبي حاتم(١/٢١٨) .

غمامتان، أو ظلتان سوداوان بينهما شَرقٌ، أو كأنهما حزقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما»[(١)].

وإن ترك العمل بالقرآن وعدم اتباعه من أعظم أنواع هجره، ومما يدخل في مدلول قول الله تعالى:﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].[(٢)]

٤) ظهور آثار الخشية من البكاء، والخشوع، والذكر، والتسبيح، والسجود لله تعالى بسبب ما عرفه المتدبرون من الحق الذي تضمنته آياته، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾[المائدة:٨٣]، وكما قال تعالى:﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[الإسراء:١٠٧-١٠٩]، فتضمنت هذه الآيات خبر الله عن أثر تلاوة القرآن التلاوة المتدبرة المتفهمة لخطابه، التي أثمرت عملاً بالجوارح والقلوب من السجود لله تعالى، وتنزيهه عن النقائص وما ينسبه إليه الجاحدون، والتصديق بوعده ووعيده، والبكاء من خشية الله، والخشوع له سبحانه.

وقد كان النبي ﷺ خير المتدبرين لكتاب الله تعالى، فعن عبدالله بن مسعودﷺ(ت:٣٢هـ) قال: قال لي النبيُّ ﷺ: «اقرأ عليَّ»، قلت: آقْرَأُ عليك وعليك أُنزِل؟ قال: «فإنِّي أحب أن أسمعه من غيري». فقرأت عليه سورة

(١) رواه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، حديث (٢٥٢) .

(٢) الفوائد ص ١٥٦.

النساء حتى بلغت ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء:٤١] قال: «أمسك» فإذا عيناه تذرفان[١].

وكذا كان أصحابه ﷺفعن عائشة رضي الله عنها(ت:٥٨هـ) قالت: لما دخل رسول الله ﷺ بيتي قال مروا أبا بكر فليصل بالناس، فقلت: يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق إذا قرأ القرآن لا يملك دمعه»[٢].

ولعموم السلف من الصحابة ومن بعدهم في ذلك قصص كثيرة مشهورة يطول الكلام بتتبعها[٣].

وفي سجود التالين المتدبرين لآيات القرآن عند مواضع سجوده ترغيماً للشيطان إذ يعتزل يبكي ويقول أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النَّار، كما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى يقول يا وَيْلَه أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النَّار»[٤]

٥) قشعريرة جلود المتدبرين الخاشعين، ووجل قلوبهم، ولين قلوبهم وجلودهم، كما قال:﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر:٢٣]، وكما قال تعالى:﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[الأنفال:٢]، فلين القلوب: ضد قسوتها التي ذكرها الله في قوله:﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر:٢٢]، ولين الجلود ضد قشعريرتها، «فإن المؤمن إذا سمع آيات الوعيد

(١) متفق عليه، البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾، انظر الصحيح مع الفتح (٩٩/٨)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، حديث (٢٤٧) .

(٢) رواه مسلم ، كتاب الصلاة ، حديث (٩٤)

(٣) انظر فضائل القرآن لأبي عبيد ص ١٣٥ .

(٤) رواه مسلم، كتاب الإيمان، حديث(١٣٣).

والتهديد يخشى ربه ويتجنب ما حذر منه فيقشعر جلده، فإذا عُقِّب ذلك بآيات البشارة والوعد استبشر وفرح وعرض أعماله على تلك الآيات فرأى نفسه متحلِّية بالعمل الذي وعد اللَّه عليه بالثواب فاطمأنت نفسه وانقلب الوجل والخوف رجاء وترقبا، فذلك معنى لين القلوب.

وإنما يبعث هذا اللين في القلوب ما في القرآن من معاني الرحمة...وهو لين خاص ناشئ عن اطمئنان القلوب بذكر الله كما قال تعالى:﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨].(١)، وفي حديث عبدالله بن عروة بن الزبير(ت:١٢٦هـ) قال: قلت لجدتي أسماء رضي الله عنها(ت:٧٣هـ) :كيف كان أصحاب رسول اللهﷺ إذا سمعوا القرآن ؟ قالت: تدمع أعينهم، وتقشعر جلودهم كما نعتهم الله(٢).

وفي حديث جبير بن مطعم (ت:٥٩هـ) قال: «سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿الْمُصَيْطِرُونَ﴾[الطّور: ٣٥- ٣٧] كاد قلبي أن يطير»(٣).

٦) ومن ثمار التدبر لكتاب الله تعالى تحصيل العلم بالله، والعلم بكتابه، كما قال تعالى:﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[ص:٢٩] أي: وليتذكر المتدبر لهذا الكتَاب المبارك العلمَ بالله وآياته ويتذكَرون العمل الذي يقربهم إلى الله .

قال العلامة السعدي(ت:١٣٧٦هـ) في تفسير هذه الآية: أي : «أولو العقول الصحيحة، يتذكرون بتدبرهم لها كل علم ومطلوب».(٤) وإن أهل العلم

(١) انظر التحرير والتنوير(٢٣/٣٨٩-٣٩٠).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٥/٢٤) رقم(١٩٠٠) .

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، سورة الطور، انظر الصحيح مع الفتح(٨/٤٦٩).

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٦/٤١٨) .

هم الذين يرون أن ما أنزل الله تعالى هو الحق، فيؤمنوا به، ويعلموا أنه نور وهدى للناس كما قال تعالى:﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾[سبأ:٦]، وكما قال تعالى:﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحج:٥٤]، وكما قال تعالى:﴿ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾[النساء:١٦٢]، وهم الذين يكلون علم متشابهه إلى منزله كما قال تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران:٧]، وصدورهم حافظة لكتاب الله تعالى كما قال تعالى:﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (٤٨) بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ [العنكبوت:٤٨-٤٩].

وقد سمى الله تعالى كتابه الذي أنزله على محمد ﷺ علماً كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾[الرعد:٣٧]، وكما قال تعالى: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ [آل عمران:٦١]، ونحوها من الآيات.

٧) حصول التذكر للمتدبر بتدبره للقرآن، كما قال تعالى:﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[ص:٢٩]، وكما قال:﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[النور:١]، وكما قال تعالى:﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[ق: ٣٧]، وكما قال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾[الأعراف:٣].

٨) حصول القنوت للمتدبر بتدبره للقرآن كما قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[الزمر: ٩].

المبحث الثامن: الصوارف والحجب عن تدبر القرآن.

إن ترك تدبر القرآن وعدم تفهمه من أعظم أنواع هجر القرآن، الوارد ذكره في قول الله تعالى على لسان نبيه ﷺ: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾[الفرقان: ٣٠] قال ابن القيم(ت: ٧٥١هـ): هجر القرآن أنواع... الرابع: هجر تدبره وتفهمه ، ومعرفة ما أراد المتكلم به منه. اهـ[١]

وكلما كان العبد شرود القلب، متعلقاً بالشواغل، بعيداً عن آداب التالي، ضعيف التوكل على ربه متلبساً بالمعاصي أو البدع كان عن فهم و تدبر القرآن أبعد، وبهذه الصوارف ونحوها يحصل انغلاق القلب عن فهم القرآن وتدبره، وبعض هذه الصوارف يعود إلى أخذ القرآن وطريقة تلاوته ووقتها، وبعضها يعود إلى القلب وما أشرب من رأي أو نحلة، أو ما تعلق به من شهوات النفس ونزغات الشيطان، أو ما يرد عليه من شواغل الدنيا وسخب الحياة، أو ما طبعت عليه قلوب بعض خلقه من الكفر والنفاق فكان جزاء الله تعالى لهم أن طبع على قلوبهم وختم عليها، أو طمس عليها، أو حرمها فهم لذيذ خطابه وفقهه . نسأل الله العافية . فمن جملة هذه الصوارف والحجب:

١) أخذ القرآن جملة، فأخذه جملة من موانع تدبره وتفهمه، وهي من المقترحات التي اقترحها أهل الكفر على النبي ﷺ وقت تنزل القرآن، وقد أنكرها الله تعالى عليهم، وبين أن إنزاله منجماً يحقق تفهمهم وتدبرهم للقرآن وانتفاعهم به، ويحصل به تثبيت قلب النبي ﷺ فقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾[الفرقان: ٣٢] .

(١) الفوائد ص ١٥٦.

٢) العجلة في قراءة القرآن، فالعجلة في قراءة القرآن من الصوارف عن تدبره وتفهمه، فالعَجِل لا حظ له من فهمه وفقهه، وقد نهى الله تعالى نبيه ﷺ عن العجلة في أخذ القرآن وقراءته فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[طه:١١٤]، وقال تعالى:﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾[القيامة:١٦-١٨] .

٣) اعتقاد رأي أو نحلة أو بدعة، وجعلها أصلاً يُفهم القرآنُ وِفْقَهَا، ويفسر عليها، فهذا من أعظم الحجب عن فهم وتدبر القرآن فهماً وتدبراً صحيحاً، فقد أخبر الله تعالى في كتابه عن أقوام أعرضوا عن الهدى بسبب إتباعهم لما كان عليه آباؤهم من الضلال كقوله تعالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [المائدة:١٠٤]، وقوله تعالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾[لقمان:٢١]، وقوله تعالى:﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾[يونس:٧٨]، وقوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (٢٢) وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾[الزخرف:٢٢-٢٣]، ونحوها من الآيات.

قال ابن القيم (ت:٧٥١هـ) في معرض حديثه عن قصور فهم المعتزلة لكلام الله قال: ومن أجل ما تقدم من قصور معنى النفي في (لن) وطوله في (لا) يعلم الموفق قصور المعتزلة في فهم كلام الله حيث جعلوا (لن) تدل على

النفي على الدوام، واحتجوا بقوله: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾[الأعراف:١٤٣] **وعلمت بهذا أن بدعتهم الخبيثة حالت بينهم وبين فهم كلام الله كما ينبغي، وهكذا كل صاحب بدعة تجده محجوبا عن فهم القرآن.اهـ**(١)

وقال ابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ): أن يكون له ميل إلى نزعة أو مذهب أو نحلة فيتأول القرآن على وفق رأيه ويصرفه عن المراد ويرغمه على تحمله ما لا يساعد عليه المعنى المتعارف، فيجر شهادة القرآن لتقرير رأيه ويمنعه عن فهم القرآن حق فهمه ما قيد عقله من التعصب عن أن يجاوزه فلا يمكنه أن يخطر بباله غير مذهبه.اهـ(٢)

٤) تعلق القلب بما ورد عليه من شهوات النفس وملذاتها المحرمة وهواها، ونزغات الشيطان، وشواغل الدنيا وسخب الحياة، فهي من أعظم الحجب عن فهم القرآن وتدبره والانتفاع به.

وفي حديث أبي هريرةﷺ (ت:٥٩هـ) أن النبي ﷺ قال: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذي ذكر الله:﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[المطففين:١٤]»(٣).

(١) بدائع الفوائد (١ / ٩٦) .

(٢) التحرير و التنوير (١ / ٣١) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٩٧/٢) ، والترمذي ، كتاب التفسير ، باب ومن سورة ويل للمطففين (٤٠٤/٥) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح . وأخرجه ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب ذكر الذنوب (١٤١٨/٢) ، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (١٢٧/٣) ، وصحيح سنن ابن ماجة (٤١٧/٢) .

وفي الصحيح من حديث حذيفةﷺ (ت:٣٦هـ) قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا فأيُّ قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأيُّ قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر: أسود مربادًا كالكوز مجخيًا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه»[(١)].

وهذه النكت التي تنكت في قلب العبد نتيجة مقارفة المعاصي التي هي حجب تحجبه عن تدبر القرآن وفهمه والانتفاع به .

قال ابن القيم (ت:٧٥١هـ) في ثنايا كلامه عن الغناء: فاعلم أن للغناء خواص لها تأثير في صبغ القلب بالنفاق، ونباته فيه كنبات الزرع بالماء، فمن خواصه: أنه يلهي القلب ويصده عن فهم القرآن وتدبره، والعمل بما فيه، فإن القرآن والغناء لا يجتمعان في القلب أبداً، لما بينهما من التضاد، فإن القرآن ينهى عن اتباع الهوى، ويأمر بالعفة، ومجانبة شهوات النفوس، وأسباب الغي، وينهى عن اتباع خطوات الشيطان، والغناء يأمر بضد ذلك كله، ويحسنه. اهـ[(٢)].

وقال الزركشيّ (ت:٧٩٤هـ): أصل الوقوف على معاني القرآن التدبر والتفكر. واعلم أنّه لا يحصل للناظر فهمُ معاني الوحي حقيقةً، ولا تَظهر له أسرارُ العلم من غيبِ المعرفة، وفي قلبه بدعة، أو إصرار على ذنب، أو في قلبه كِبْر أو هوىً، أو حبُّ الدنيا، أو يكون غير متحقّق الإيمان، أو ضعيف

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ،باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً ، حديث (٢٣١).

(٢) إغاثة اللهفان (١ / ٢٥١-٢٥٢) .

التحقيق، أو معتمداً على قول مفسِّر ليس عنده إلا علمٌ بظاهر، أو يكون راجعاً إلى معقوله، وهذه كلُّها حُجُبٌ وموانعُ، وبعضُها آكَدُ من بعضٍ اهـ[(١)].

٥) الحيلولة بين القلوب والانتفاع بالقرآن بسبب ما قام بها من كفر ونفاق، فيحجب الله عنها فهم القرآن وتدبره والاهتداء به بما كسبت أيديهم، وقد «أخبر سبحانه أنه إنما يكون القرآن هدى للمتقين السليمة قلوبهم الزاكية نفوسهم، فقال: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾[البقرة:٢] تخصيصاً لهم، كما بين هذا الاختصاص حيث قال: ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾[آل عمران:١٣٨] فعم الجميع البيان الذي تقوم به الحجة، ثم قال: ﴿ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[آل عمران:١٣٨] فخصهم بذلك دون غيرهم، وكما قال: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾[فصلت:٤٤]»[(٢)].

وقد أخبر الله في كتابه عما قام بقلوبهم من الحجب والصوارف عن تدبر القرآن والاهتداء به، فأخبر تعالى بأنه جعل على قلوبهم أكنة فلا تفقه القرآن كما في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾[الأنعام: ٢٥]، وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾[الإسراء: ٤٦]، وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾[الكهف: ٥٧]، وأخبر تعالى أنه ختم على قلوبهم كما في وقوله: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾ [البقرة: ٧]، وأخبر تعالى أنه طَبع على قلوبهم كما في قوله: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ﴾ [النحل:١٠٨]، وقوله: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾[محمد:١٦]، وأخبر أن قلوبهم لا تفقه كما في قوله: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾[الأعراف:١٧٩]، وقوله: ﴿ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة:١٢٧]، وأخبر أن قلوبهم لا تعقل كما في

(١) البرهان في علوم القرآن – (٢ / ١٨٠-١٨١) .

(٢) قاعدة في فضائل القرآن لابن تيمية ص٦٥ .

قوله: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[الحج:٤٦]، وأخبر أن قلوبهم مقفلة كما في قوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[محمد:٢٤]، وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾[الإسراء:٤٥] في أحد وجهي التفسير، وأخبر الله أنه أصمهم وأعمى أبصارهم في مثل قوله: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴾[محمد:٢٣].

وأخبر تعالى أن قلوبهم متكبرة عن قبول الحق كما في قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[الأعراف:١٤٦] قال سفيان بن عيينة: «أنزع عنهم فهم القرآن وأصرفهم عن آياتي»[(١)]، وأخبر تعالى أن قلوبهم قاسية كما في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾[المائدة: ١٣]، وقوله: ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾[الحج:٥٣].

وأخبر تعالى أن قلوبهم مريضة كما في قوله: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾[البقرة:١٠]، وقوله: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ ﴾[المائدة: ٥٢]، وقوله: ﴿فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ﴾[محمد:٢٠]، وقوله: ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾[المدثر:٣١]، وأخبر تعالى أن قلوبهم لاهية كما في قوله: ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾[الأنبياء:٣]، ونحوها من السياقات القرآنية المخبرة بحال قلوب المعرضين عن القرآن وما قام بها من حجب.

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾[الإسراء:٤٦]: بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه جعل على قلوب الكفار أكنة، (جمع كنان) وهو ما يستر الشيء ويغطيه ويكنه، لئلا يفقهوا القرآن، أو كراهة أن يفقهوه لحيلولة تلك

(١) أخرجه ابن جرير في جامع البيان (١١٢/١٣) ، أثر رقم (١٥١٢٢) ط: شاكر .

الأكنة بين قلوبهم وبين فقه القرآن، أي: فهم معانيه فهماً ينتفع به صاحبه، وأنه جعل في آذانهم وقراً، أي: صمماً وثقلاً لئلا يسمعوه سماع قبول وانتفاع.

وبين في مواضع أخر سبب الحيلولة بين القلوب وبين الانتفاع بالقرآن، وأنه هو كفرهم، فجازاهم الله على كفرهم بطمس البصائر، وإزاغة القلوب، والطبع، والختم، والأكنة المانعة من وصول الخير إليها، كقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ الآية[الصف:٥]، وقوله: ﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ [النساء:١٥٥]، وقوله: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ الآية [البقرة :١٠]، وقوله: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾[التوبة:١٢٥]، إلى غير ذلك من الآيات. اهـ[١]

٦) سوء الظن بالله تعالى وبرسوله ﷺ فحال المعرضين عن تدبر القرآن يبادرون بإعراضهم عنه قبل سماعه وتفهمه، ويعتقدون أنه مختلق من قصص الأوائل، كما أخبر الله تعالى عن حالهم بقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[النحل: ٢٤]، وأخبر عنهم بنحو قوله:﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾[الأنفال:٣١]، وأخبر عنهم بنحو قوله: ﴿ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾[المطففين:١٣]، «أي: إذا سمع كلام الله من الرسول ﷺ يكذب به، ويظن به ظن السوء، فيعتقد أنه مفتعل مجموع من كتب الأوائل»[٢].

٧) الظن بأن القرآن نزل في قوم قد خلوا من قبل، وأن الواقع الذي يعيشه الناس في أي زمن غير داخل في مضمون خطاب القرآن، وهذا من الحجب التي تحجب العبد عن تدبر القرآن وتفهمه والانتفاع به.

---

(١) أضواء البيان (٥٩٧/٣) .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨ / ٣٧٢) .

قال العلامة ابن القيم (ت:٧٥١هـ): «**أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحت القرآن، وتضمنه له، ويظنونه في نوع وفي قوم قد خلوا من قبل ولم يعقِبوا وارثاً، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن، ولعمر الله إن كان أولئك قد خلوا، فقد ورثهم من هو مثلهم، أو شر منهم، أو دونهم، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك**» اهـ[1].

(١) مدارج السالكين (١ /٣٤٣) .

الخاتمة:

وأخيراً بعد هذه الدراسة للفظ (التدبر) في القرآن الكريم، مفهومه وموارده، وثمراته، وأركانه، وعوائق التدبر والحجب الصارفة عنه، وبعد دراسة جملة النصوص القرآنية التي تضمنها البحث، وما عاضدها من نصوص السنة النبوية، يمكن استخلاص جملة من النتائج والحقائق المتعلقة بالموضوع، من أهمها:

١) أن تدبر القرآن هو أعظم سبيل لنوال بركة هذا الكتاب العظيم، وتطلب هداياته.

٢) أن جميع الناس: المؤمن والكافر مخاطبون بتدبر القرآن الكريم طلباً لهدايات.

ولا يزال موضوع تدبر القرآن بحاجة إلى مزيد بحث ودراسة، ويوصي الباحث بدراسة منهج السلف الصالح في تعلم القرآن وأخذه وتدبره، وتقويم مناهج تعليم القرآن المعاصرة في ضوء منهج السلف، ليتحقق للدارسين التذكر بالقرآن، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

ثبت المصادر والمراجع

١) الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ أحمد بن علي بن حجر، ط: دار الكتب العلمية بيروت عن طبعة كلكتا ١٨٥٣م.

٢) إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، للحسين الدامغاني، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، ط:دار العلم للملايين ـ بيروت، الرابعة ، ١٩٨٣م.

٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي، ط: عالم الكتب بيروت.

٤) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن قيم الجوزية، تحقيق: مجدي فتحي السيد، ط: دار الحديث القاهرة .

٥) البحر المحيط في التفسير، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان، ط: المكتبة التجارية ـ مكة المكرمة، بدون.

٦) بدائع الفوائد ، لابن قيم الجوزية ، ط: دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان .

٧) البرهان في علوم القرآن ، لبدرالدين الزركشي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط: دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان .

٨) بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب، لعلي بن عثمان التركماني، تحقيق: علي البواب، ط: مكتبة المنار ـ الأردن ـ الزرقاء ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٩) تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: سمير طه المجذوب، ط: المكتب الإسلامي ـ بيروت لبنان، الثانية ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٠) الترجمان والدليل لآيات التنزيل، لمختار أحمد محمود الشنقيطي، ط: دار عبد الله الشنقيطي ـ السعودية ـ مكة المكرمة، الثانية ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

١١) التعريفات ، لعلي بن محمد الجرجاني ،تحقيق: عبد الرحمن عميرة ، ط: عالم الكتب . بيروت ، الأولى ١٤٠٧هـ .

١٢) تفسير التحرير والتنوير ، لمحمد الطاهر ابن عاشور، ط: الدار التونسية للنشر . ليبيا.

١٣) تفسير القرآن العظيم ، للحافظ عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي ،تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز . مكة ، الأولى ١٤١٧هـ .

١٤) تفسير القرآن العظيم للحافظ أبي الفداء إسماعيل ابن كثير، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، ط: دار الشعب . القاهرة .

١٥) تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، لأبي الحجاج يوسف المزي ،تحقيق: بشار عواد معروف، ط: مؤسسة الرسالة ، الخامسة ١٤١٣هـ .

١٦) تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق: عبدالسلام هارون وآخرون، ط: الدار المصرية للتألف والترجمة مصر ١٣٨٤هـ.

١٧) التوقيف على مهمات التعاريف ، محمد المناوي ، تحقيق: محمد الداية ، ط: دار الفكر . دمشق ، الأولى ١٤١٠هـ

١٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا المطيري، ط: مؤسسة الرسالة بيروت . لبنان الأولى ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٢م.

١٩) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر ، ط: دار المعارف بمصر .

٢٠) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ط: دار الفكر . بيروت ١٤٠٥هـ .

٢١) الجامع لأحكام القرآن ، لمحمد بن أحمد القرطبي ، ط: دار إحياء التراث . بيروت . لبنان، ١٩٦٥م .

٢٢) الجامع لشعب الإيمان ، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد ، ط: الدار السلفية ، بومباي . الهند، الأولى ١٤٠٨هـ .

٢٣) الدر المنثور في التفسير المأثور، لجلال الدين السيوطي، ط: دار الفكر . بيروت، الأولى ١٤٠٣هـ.

٢٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لمحمود الألوسي، ط: دار الفكر . بيروت، ١٤٠٨هـ .

٢٥) سنن ابن ماجه، لأبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ط: دار إحياء الكتب العربية .

٢٦) سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط:دار الكتب العلمية . بيروت الأولى ١٤٠٨هـ .

٢٧) سنن النسائي، للحافظ أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي، وبهامشه حاشية السيوطي ، وحاشية السندي، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة، ط: دار البشائر . بيروت، الثالثة ١٤٠٩هـ

٢٨) صحيح الترغيب والترهيب ، لمحمد ناصر الدين الألباني، ط: مكتبة المعارف . الرياض، الثالثة ١٤٠٩هـ .

٢٩) صحيح سنن ابن ماجه، لمحمد ناصر الدين الألباني، ط: المكتب الإسلامي . بيروت، الثالثة ١٤٠٨هـ .

٣٠) صحيح سنن الترمذي، لمحمد ناصر الدين الألباني، ط: المكتب الإسلامي . بيروت، الأولى ١٤٠٨هـ .

٣١) صحيح سنن النسائي، لمحمد ناصر الدين الألباني، ط: المكتب الإسلامي . بيروت، الأولى ١٤٠٩هـ .

٣٢) صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية . استنبول . تركيا ، الأولى ١٣٧٤هـ .

٣٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن علي بن حجر، تحقيق : محب الدين الخطيب، ط: الدار السلفية ، الثالثة ١٤٠٧هـ .

٣٤) فتح من الرحيم الرحمن في بيان كيفية تدبر كلام المنان، لأحمد بن منصور آل سبالك، ط: المكتب الإسلامي لإحياء التراث، الأولى ١٤٢٥هـ. ٢٠٠٥م.

٣٥) فضائل القرآن، لأبي عبيد القاسم بن سلام ، تحقيق : مروان العطية وآخرون، ط: دار ابن كثير . بيروت ، الأولى ١٤١٥هـ .

٣٦) فضائل القرآن للحافظ ابن كثير ، تحقيق: أبو إسحاق الحويني، ط: مكتبة ابن تيمية . القاهرة، الأولى ١٤١٦هـ .

٣٧) فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة، لأبي عبدالله محمد بن أيوب ابن الضريس البجلي، تحقيق: غزوة بدير، ط: دار الفكر. دمشق، الأولى ١٤٠٨هـ.

٣٨) الفوائد، لابن قيم الجوزية، تحقيق: بشير عيون، ط: مكتبة دار البيان . دمشق، الثانية، ١٤٠٨هـ .

٣٩) قاعدة في فضائل القرآن، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: سليمان القرعاوي، ط: مكتبة الظلال . الاحساء ،١٤١٤هـ .

٤٠) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط: دار القلم . دمشق، الثانية ١٤٠٩هـ. ١٩٨٩م.

٤١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، وبحاشيته حاشية الجرجاني، والإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لابن المنير، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، ط: مصطفى الحلبي، ١٣٩٢هـ

٤٢) كيف ننتفع بالقرآن "خطوة نحو تدبر أمثل" تأليف: د. أحمد البراء الأميري، ط: مؤسسة الريان ـ بيروت، الأولى١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م .

٤٣) لسان العرب، لمحمد بن مكرم ابن منظور، ط: دار صادر ـ بيروت، الأولى١٤١٠هـ.

٤٤) مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع عبد الرحمن ابن قاسم، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، ١٤٢٥هـ .

٤٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية، ط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب ـ الأولى .

٤٦) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط: دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٣٩٢هـ .

٤٧) المراحل الثمان لطالب فهم القرآن، لعصام بن صالح العويد، الناشر: مركز تدبر للاستشارات التربوية والتعليمية، الأولى،١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م .

٤٨) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ط: الميمنية ـ القاهرة ، ١٣١٣هـ .

٤٩) مشكل الآثار لأبي جعفر الطحاوي، ط: مؤسسة قرطبة السلفية ـ الأندلس، الأولى.

٥٠) معارج التفكر ودقائق التدبر، لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط:دار القلم ـ دمشق، الأولى، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٥١) معالم التنزيل، لمحيي السنة الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد النمر وآخرون، ط: دار طيبة ـ الرياض ١٤٠٩هـ

٥٢) معاني القرآن الكريم، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: محمد بن علي الصابوني، ط:مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

٥٣) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس ، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط: دار الفكر ١٣٩٩هـ .

٥٤) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن قيم الجوزية، تحقيق: سيد عمران، وعلي محمد علي، ط: دار الحديث ـ القاهرة ،١٤٢٥هـ .

٥٥) المفردات ، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داودي، ط: دار القلم ـ دمشق ، الأولى ١٤١٢هـ .

٥٦) مفهوم التدبر في ضوء الدراسة التحليلية لآياته في القرآن، لمحمد زيلعي هندي، ط: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي في جامعة أم القرى، مركز بحوث الدراسات الإسلامية، سنة النشر ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م .

٥٧) مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، لمساعد بن سليمان الطيار، ط: دار ابن الجوزي ـ الدمام، الثانية ١٤٢٧هـ .

٥٨) النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الأولى، ١٤١٢هـ –١٩٩٢م.

فهرس الموضوعات

المقدمة .....– ١٣ –

المبحث الأول: تعريف التدبر. .....– ١٦ –

المبحث الثاني: الدراسات السابقة .....– ١٩ –

المبحث الثالث: موارد مادة (دَبَرَ) في القرآن. .....– ٢١ –

المبحث الرابع : وجوه مادة (دبر) في القرآن .....– ٢٢ –

المبحث الخامس: أركان تدبر القرآن. .....– ٢٩ –

المبحث السادس: الوسائل المعينة على تدبر القرآن. .....– ٣٤ –

المبحث السابع: من ثمرات تدبر القرآن وآثاره.....– ٤١ –

المبحث الثامن: الصوارف والحجب عن تدبر القرآن. .....– ٤٧ –

الخاتمة:.....– ٥٥ –

ثبت المصادر والمراجع .....– ٥٦ –

فهرس الموضوعات .....– ٦٢ –